السلسلة الحمراء
سلسلة وحدة حرية إشتراكية

البعث العربي الإشتراكي

مبرراته وأبرز سماته

وحدة حرية إشتراكية وحدة حرية إشتراكية وحدة حرية إشتراكية
وحدة حرية إشتراكية وحدة حرية إشتراكية وحدة حرية إشتراكية
وحدة حرية إشتراكية وحدة حرية إشتراكية وحدة حرية إشتراكية



منشورات الطليعة
1985

السلسلة الحمراء

سلسلة وحدة حرية إشتراكية

١ ـ الف باء البعث
٢ ـ النضال العربي في دروب المصير الواحد
حمور ، مدثر ، بابكر ، شداد
٣ ـ حول أسلوب العمل : داخلياً وشعبياً
٤ ـ ازمة اليسار العربي : **د. منيف الرزاز**
٥ ـ مستقبل العمل الثورى العربي : **د. الياس فرح**
٦ ـ تطور الفكر الاشتراكي للبعث : **د. الياس فرح**
٧ ـ حول سياسة التحويل الاشتراكي
٨ ـ البعث العربي ضرورة تاريخية
٩ ـ استراتيجية المرحلة الراهنة
١٠ ـ أحاديث في القومية والتقدم : **العيسمي ، فرح ، الرزاز وآخرون**
١١ ـ التحويل الاشتراكي في الريف
١٢ ـ لماذا الاشتراكية الآن ؟ والمرحلة الأولى في بناء الاشتراكية
د. منيف الرزاز
١٣ ـ البعث .. وقضية فلسطين : الجزء الاول ١٩٤٤ ـ ١٩٤٨
١٤ ـ الفلاحون والثورة في الريف
١٥ ـ حول الوحدة العربية : **شبلي العيسمي**
١٦ ـ مقالات في الاشتراكية : **د. جمال اتاسي**
١٧ ـ الشعبية والنضال الحزبي
١٨ ـ حول المؤتمرين القوميين التاسع والعاشر والجبهة القومية الشعبية
١٩ ـ بعض المنطلقات النظرية
٢٠ ـ اشتراكية البعث ومنهاجه الاقتصادي : **د. بشير داعوق**
٢١ ـ البعث ونضال الطبقة العاملة : الجزء الاول ١٩٤٧ ـ ١٩٥١
٢٢ ـ لقاء الثورات واللقاء الثوري : **د. منيف الرزاز**
٢٣ ـ نحو اصلاح زراعي اشتراكي : **د. سعدون حمادي**
٢٤ ـ البعث .. وقضية فلسطين : الجزء الثاني ١٩٤٩ ـ ١٩٥٤
٢٥ ـ حركة الثورة العربية ومسألة العلاقات بين القوى الوطنية والتقدمية : **طارق عزيز**
٢٦ ـ في السياسة العربية : **ميشيل عفلق**
٢٧ ـ أحاديث في القضايا الراهنة : **صدام حسين**
٢٨ ـ القومية والانسانية : **د. عبد الله عبد الدائم**
٢٩ ـ الشعب العربي في معركة التحرر : **ميشيل عفلق**
٣٠ ـ بعض القضايا القومية : **شبلي العيسمي**
٣١ ـ البعث .. وقضية فلسطين : الجزء الثالث ١٩٥٥ـ١٩٥٩
٣٢ ـ الأبعاد الفكرية والنضالية لتاسيس البعث : **د. الياس فرح**
٣٣ ـ الوحدة في تراث البعث وفي برامج الأحزاب العربية
٣٤ ـ الفكر العربي الثوري : **د. الياس فرح**
٣٥ ـ القومية العربية بين الماضي والحاضر : **د. عبد الله عبد الدائم**
٣٦ ـ التربية والسياسة : **د. الياس فرح**
٣٧ ـ البعث .. وقضية فلسطين : الجزء الرابع ١٩٥٩ ـ ١٩٦٤
٣٨ ـ البعث .. وقضية فلسطين : الجزء الخامس ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧
٣٩ ـ البعث .. ونضال الطبقة العاملة الجزء الثاني ١٩٥١ ـ ١٩٥٩
٤٠ ـ النضال ضد تشويه حركة الثورة العربية : **ميشيل عفلق**
٤١ ـ مقالات في التحويل الاشتراكي : **د. سعدون حمادي**
٤٢ ـ نحو حركة عمالية ثورية
٤٣ ـ لمحات من نضال البعث
٤٤ ـ احاديث في العمل الفدائي وتحرير فلسطين : **د. منيف الرزاز**
٤٥ ـ الطريق القومي لتحرير فلسطين : **جبهة التحرير العربية**

البعث العربي الاشتراكي

مبرراته .. وابرز سماته ..

إننا

لسنا الا نتاج امتنا . واننا اذا استطعنا ان نعمل حتى الان شيئا . فانما يرجع الفضل في ذلك كله الى هذه الارادة المستيقظة في امتنا التي تفرض نفسها على طليعة ابنائها • بعد أكثر من ربع قرن من الاعلان الرسمي عن حزب البعث العربي الاشتراكي •• وبعد اكثر من ثلاثين سنة من نضال هذا الحزب منذ عرف في مستهل الاربعينات باسم (حركة الأحياء العربي) ، بعد هذا كله لم يعد في هذا الحزب جانب يخفى على جماهير الشعب العربي .

وبشكل اوضح ، فان الجماهير العربية تعرفت على حزب البعث العربي الاشتراكي منذ بداياته ،حركة متميزة تحمل لاول مرة في تاريخنا المعاصر كل مقومات الحركة الثورية الاصيلة الحية فكرا واسلوبا .

وبالنسبة لاية حركة ثورية يكون موقعها من الجماهير - قربا او بعدا - مرتبطا بمدى ما تستطيع الحركة ان تكون اصيلة في تعبيرها عن ارادة الجماهير .. بمعنى اخر ان تمثيل الجماهير - لا النيابة عنهاو الوصاية عليها - هو شرط اول في وضعها ، عن قناعة ، اداة حية وفاعلة في المواقع الامامية لاية حركة ثورية جادة .

واذا اردنا ان ننتقل اكثر الى التخصيص ، فثمة اسئلة ملحة : لماذا حزب البعث ؟ .. وما هي المزايا الاساسية التي امتلكها ، فجعلته حزب الجماهير واعطته قيادة الساحة العربية - ومشرقها بشكل خاص - طيلة الثلاثين سنة الماضية ؟ .. هل كان الحزب شيئا جديدا فعلا في حياة العرب ؟ .. هل أبتدع لهم اهدافا خارجة عن تصورهم ؟ بمعنى اخر هل كان هذا الحزب يملك قدرات غيبية ؟ .. هل وعد الجماهير بطريق سهلة وممتعة ؟

وفي الواقع ان اجابة هذه التساؤلات تفتح امامنا ذلك المسار الطويل الذي شق طريقه على ساحة النضال العربي ، وتبسط امامنا صورة وعلى امتداد سنوات نضاله منذ انطلق على صورة حركة تبشيرية في بداية الاربعينات .

الجماهير العربية ومطمحها الأول :

اذا كانت الشعوب لا تفرط باي شيء من حقوقها مهما كان ضئيلا ، ومهما كانت فادحة مستلزمات الدفاع عن حقها هذا ، فان ذلك ليس مزية لشعب دون اخر ، بقدر ما هو دلالة اكيدة على حيوية الشعب واستجاباته السليمة لحركة التاريخ . ومن بين كل تلك الشعوب المضطهدة والتي عانت اشكالا معقدة من الهيمنة المزدوجة للاستعمار وركائزه ، يبرز شعبنا العربي باكبر اوزار السيطرة الاستعمارية واكثر اشكالها تعقيدا . ولئن كان هذا الشعب قد عانى - ولا يزال - فعلا نصيبا اكبر من التحديات الاستعمارية ، وبالتالي ، قدم وباستمرار

عطاءا انسانيا في مناهضته للعدوان الاستعماري باعتباره قيمة متخلفة وجريمة في حق الشعوب ، فان ذلك لا يشكل في عرف الثوريين الحقيقيين ميزة عريقة لشعبنا بقدر ما يؤكد حيوية هذا الشعب وقدرته على الاستمرار في اداء رسالته كرافد مهم من روافد حركة التحرر الانسانية الجبارة .

الا اننا ينبغي ان نؤكد ان النضال العربي -ولاعتبارات موضوعية - ظل مشدودا الى مطمح اساسي ميزه عن غيره من نضالات الشعوب ، كما كان معيارا لجدية الحركات الوطنية العربية ومدى التصاقها بالجماهير ، ذلك المطمح هو نزوع شعبنا المشروع الى الوحدة . ومن هنا كان طبيعيا ان يتأكد هدف الوحدة في كثير من برامج الحركات السياسية العربية - منذ وجدت التجزئة - ورغم اختلاف المضامين التي رافقت هذا الهدف وتفاوت الحركات نفسها في جديتها بتبنيها له او قدرتها على وضعه في اطار ثوري يجعله مهمة نضالية يومية تحرك الجماهير في خط منسجم وموحد مع نضالها من اجل حريتها وتخلصها من الاستغلال .

معطيات جديدة في الحياة العربية :

بعد ان اوشك (الرجل المريض) على التخلي كليا عن اعباء امبراطوريته في أواخر القرن التاسع عشر ، وبمعنى ادق بعد ان ارغم على التخلي عن امبراطوريته تلك ، كان شعبنا العربي قد دفع ثمنا باهظا لرضوخه قرونا طويلة تحت ظل السيطرة الاستعمارية العثمانية ، وكان اخطر ما يواجه حركة اليقظة العربية في مستهل القرن العشرين انها كانت تجابه بتهمة المروق على الدين (وتهديد سلطة ظل الله على الارض) ورغم كل العسف الذي انصب على شعبنا العربي ، كانت الحركات القومية تشق طريقها - تحت مسميات كثيرة - الى وجدان الجماهير العربية لتنتفض على واقعها وتعبر عن ارادتها في الوجود الانساني .

كانت المطالب العربية متواضعة كثيرا ولم تكن تتعدى في احيان كثيرة (حق استعمال اللغة العربية ومطالب هينة اخرى) . ولعل انضمام العرب لاية جهة تناهض السلطان العثماني كان مبررا ومشروعا بل ضروريا آنذاك . وهذا ما يفسر سهولة انقياد العرب مع الاحلام التي صورت لهم في التحالف مع البريطانيين في الحرب الكونية الاولى ، وما يفسر في الوقت ذاته ذلك النوع من العتاب - وان كان مرا - للحلفاء والذي ظهر حتى في بعض الاعمال الادبية بعد ان القت الحرب الكونية الاولى اوزارها ، وكان نتاجها في جوانبها المتعلقة بشعبنا العربي ، شكلا جديدا ومعقدا من انواع الاستعمار وضع شعبنا من جديد امام تهديدات مصيرية خطيرة .

من ذلك كله انفرعت على الساحة العربية ، حركات سياسية ، عبرت عن المعطيات الجديدة لحياتنا العربية . ولكي تكون الصورة واضحة وجلية ، لابد من ان نؤكد بعض مسلمات ، هي في حقيقتها ، خلاصة لواقع التصارع بين الاستعمار من جهة والرفض العربي

لهذا الاستعمار من الجهة الاخرى ، ويمكن تلخيصها فيما يلي :

اولاً : ان التجزئة مثلت الاستراتيج الذي انطلق منه الاستعمار في تكريسه لمخططه الهادف الى توسيع احتكاراته والبحث عن احتكارات جديدة في المنطقة

ثانياً : لكي تبق هذه التجزئة سدا في وجه النضال العربي من جهة وممرا رحبا للمخططات الاستعمارية من جهة اخرى ، كان لابد من ايجاد قواعد جديدة للاستعمار تكرس التجزئة وتحد من فاعلية النضال العربي باتجاه تجاوزها (واغتصاب فلسطين ، واقامة الاستعمار الاستيطاني فيها نموذج امثل في هذا المجال) .

ثالثاً : ان الوصول الى الهند كان في بداية الامر ، محرك الاستعمار الاول الى بسط نفوذه على الوطن العربي ، الا ان دخول البترول كمادة اساسية واستراتيجية في الموازين الاقتصادية والعسكرية جعل وطننا العربي هدفا استعماريا بحد ذاته فيما بعد .

رابعاً : تبلور القناعات لدى الجماهير بضرورة نضال ثوري قائم على اسس واقعية وفعالة في خط منسجم مع تصاعد مشاريع الاستعمار لاغتصاب فلسطين ابتداء من وعد بلفور (١٩١٧) وعبر سلسلة مخططات الضغط على شعبنا في فلسطين وتنظيم الهجرة الصهيونية اليها من جهة ، وفشل الزعامات العربية الفردية والحركات السياسية التقليدية في خلق مجرى نضالي دائم وفق اهداف ثابتة من جهة اخرى .

خامساً : محاولة الانظمة الرجعية العربية - وبتوجيه من الاستعمار - امتصاص الاهداف الجماهيرية وفي مقدمتها هدف الوحدة اولا ، وتحرير فلسطين ثانيا - بعد اغتصابها ، في جملة مشاريع لاجهاض الثورة العربية على غرار اقامة الجامعة العربية واتفاقات الدفاع العربي .. الخ .

سادساً : في ضوء المعطيات الجديدة كان لابد ان تنتشر على الساحة العربية حركات سياسية تنطلق كل منها من زاوية تفهّمها للواقع العربي الجديد ، ومن ولاءاتها وارتباطاتها بتيارات خارج هذا الوطن .

وهكذا سادت الساحة العربية - ومشرقها بشكل خاص - حركات سياسية كانت في بعضها تمثل ردود فعل مباشرة وحتى سلبية على نتائج الصراع العربي العثماني ، وكانت في بعضها الآخر امتدادا للمشاعر القومية الجياشة التي ولّدتها ظروف القرن التاسع عشر ، وأخرى غير هذه وتلك تراوحت بين الجمعيات ذات الصفة التراثية والأدبية وبين الاحزاب العالمية .

على اننا يمكن ان نميز اربعة اتجاهات رئيسة شقت طريقها على ساحة النضال العربية رغم ما بينها من تفاوت فيما طرحته ، وما تركته من آثار على النضال العربي نفسه .

أولاً : الاتجاه الديني

كانت نتائج الحرب الكونية الاولى في بعض جوانبها ، تعميقا لخيبة الأمل الكبير التي القت بظلها على شعبنا العربي فدفعته الى ان يتوزع بين مشاعر حادة طفحت في انفجارات اشبه بصحوة الموت حيناً ، والى ان يركن الى القدر ويبحث عن الخلاص في التعلق بأي تفسير يخلصه من صدمته حيناً آخر . وكانت هذه الارضية مناخاً صالحاً لكي يتحرك التيار الديني قبل غيره مشدودا بعواطفه الى 'الدولة الاسلامية' التي كان النضال العربي واحداً من أسباب سقوطها ، وهكذا نفح هذا التيار مسألة في غاية الخطورة حين ارجع كل المخططات الاستعمارية الى جزاء قدري وصوّر المعاناة الجديدة لشعبنا وكأنها الثمن العادل (لخطاياه) .

ولئن كان طبيعياً أن ينتشر هذا التيار قبل غيره وبحجم اكبر في باديء الامر ، لاعتبارات كثيرة في مقدمتها ان التراث الديني كان الرافد الوحيد الذي لم تستطع ان تقطعه السلطة العثمانية ، فان صورة الاستعمار الجديدة والمعاناة اليومية للجماهير وتبلور المخاطر الاستعمارية وفشل هذا التيار في اعطاء اجوبة ناجحة للنضال الجماهيري .. كل ذلك ساعد على انحسار هذا التيار وحصره في مجرى ضيق بعيد عن التفاف الجماهير .

ثانياً : التيار القومي :

كان لا بد أن يتنامى التيار القومي بعد ان فُرضت التجزئة على الوطن العربي واصبح الشعب يشعر بالتمزق للمرة الاولى في تاريخه . فرغم قسوة الحكم العثماني وجبروته وبخاصة في فترة انحلاله الاخير لم يكن المواطن العربي يشعر ان ثمة حدوداً بينه وبين مواطن آخر في الوطن العربي الكبير ... هذه الصورة الجديدة جعلت شعار الوحدة ، هو المرجح والغالب ، وهو الاكثر قدرة على استقطاب الجماهير . ومن هنا كان طبيعياً - الى حدود البداهة - ان يكون الهدف القومي هو المحرك الرئيس والفعال للنضال العربي ، وبشكل دفع الاستعمار الى التفكير جدياً في معالجة هذا الخطر الذي يتهدده . وهكذا تركز الخط الاستعماري في البحث عن اجدى السبل لافراغ هذا التيار وتصريفه في جانب ، والاسراع في المشاريع التي تكبل الجماهير وتحد من فاعليتها في الجانب الآخر . وكان في مقدمة هذا المخطط الاستعماري تشجيع النزعات القطرية التي جعلت من العودة الى الحضارات السابقة للتأريخ العربي (كالفرعونية ، والفينيقية ، والسومرية ، وغيرها) سلاحاً لمحاربة القومية العربية وايغالاً في تكريس التجزئة وتثبيت خصائص اقليمية تشرذم اتجاه الجماهير نحو الوحدة .

على ان من الضروري التأكيد ان هذا التيار القومي العارم لم يستطع ان يحقق اشكالاً نضالية فعالة ، لانه لم يربط بين حاجة الجماهير الى التخلص من الاستعمار بحاجتها الى

التحرر من الاستغلال الطبقي والتخلف الاجتماعي والسيطرة السياسية الاستعبادية .. كانت الجماهير العربية تقدم تضحيات جسيمة خلف راية النضال من اجل الوحدة ، الا انها كانت تبحث في اعقاب كل معركة عن حصيلة هذا النضال ، فلا تجد غير الخيبات المتوالية . ان خلو التيار القومي من المضامين الاجتماعية التقدمية والانسانية ، هو الذي ضغط عليه وافرغ في هيكله حيزاً لحركات اخرى شقت طريقها الى الساحة ومارست سيادتها ، او شاركت في ممارسة هذه السيادة عليها فترة غير يسيرة .

ثالثاً : التيارات التقدمية الاقليمية :

كانت التطورات تأخذ طريقها الى بنية المجتمع العربي ، فهذا المجتمع الذي كان يعيش بين حالتي الاقطاع بشكل غالب والبداوة في كثير من اجزائه ، اخذ يتحول تدريجيا بعد ان بدأت تلامسه اطراف المجتمع الصناعي . فلقد كانت حاجة المستعمرين ماسة الى بعض الصناعات والحركة الانشائية ... وكانت حاجة المستعمرين ماسة ايضا وبدرجة تؤمن امداد وجودهم العسكري بكل ما يجعله قادرا على تلبية حاجاته الى نشوء طبقة تجارية وصناعية تستطيع ان تفتح المجال امام احتكاراتهم .

ومع هذا التحول كان طبيعيا ان تنشأ حركات ديمقراطية تستورد حاجات شعبنا الى الحرية ، من الغرب على شاكلة ما تستورَد من السلع الاخرى .. وكأن طبيعيا ايضا ان تنطلق هذه العينة من الحركات الديمقراطية من مواقع تجزيئية باعتبار ان الوحدة تهدد مصالحها النامية الجديدة .

إلا ان هذا التيار الذي عبر عن نفسه في الاحزاب الوطنية والديمقراطية في بعض أجزاء الوطن العربي ، قدم ورغم قصوره ، للحركة الشعبية العربية شيئاً جديداً ومهماً ، حين خلصها من الموقف الوطني العاطفي وشخص مطالبها بصورة حسية ملموسة .

ولان الجوهر الاساس لمشاكل شعبنا العربي ، هو في التجزئة .. ولان التخلف والاستغلال واستمرار النفوذ الاستعماري ، كلها مظاهر لهذا الجوهر ، كان لابد ان تنزوي الحركات الوطنية والديمقراطية التي نظرت التجزئة كواقع لشعبنا العربي واعتبرت الوحدة مسألة يمكن الوصول اليها من خلال معالجات اقليمية وبصورة آلية . وان تنحصر تلك الحركات في صفوف بعض المثقفين واصحاب (الرساميل الوطنية) بعيداً عن الواقع النضالي والحياتي لجماهير الشعب .

رابعاً : التيار الاممي :

ابان الحرب الاولى وفي عام ١٩١٧ ، انطلقت ثورة اكتوبر لتعلن انسحاب روسيا من الحرب العدوانية ، ولتسهم في فضح معاهدات الحلفاء لاقتسام اسلاب الدولة العثمانية وباعتبار ان ثورة اكتوبر كانت التعبير الاول عن الفكر الاشتراكي في صورة ممارسة

للحكم .. وباعتبار ان شعبنا العربي يمثل في غالبيته جماهير كادحة ومضطهدة ... فان التربة كانت مهيأة لان تجرب الحركة الاممية الماركسية حظها على ميدان النضال العربي ... كان كل شيء يعطي هذه الحركة افضلية على التيارات التي سبقتها . فالنظرية الثورية والتراث النضالي الاشتراكي لاكثر من نصف قرن منذ (البيان الشيوعي الاول) وواقع التخلف والفقر الذي تعيشه جماهيرنا كل ذلك رسم للتيار الاممي الماركسي وبشكل اوضح للاحزاب الشيوعية العربية ان تلعب دوراً كبيراً في حياة شعبنا العربي النضالية الا ان هذه الاحزاب لم تستطع ان تغوص الى جوهر المشاكل العربية وبقيت اسيرة النقل الآلي المباشر لتجارب لم تتمخض عن معطيات النضال العربي نفسها ، وبالتالي ، لم تستطع ان تنظر الى مشاكلنا العربية برؤية واضحة وعميقة .

كان مطمح الوحدة ، هو المهماز الذي يحرك جماهيرنا العربية - ولا يزال - ... وكانت الاحزاب الشيوعية العربية تصوغ احكامها ومنطلقاتها من التجزئة القومية الاوربية .. وكان اغتصاب فلسطين تكريساً للتجزئة في التحليل العربي الثوري ، بينما كانت الاحزاب الشيوعية في احسن احتمالاتها ، لا تعتبر هذا الاغتصاب خارج اطار الجوهر الطبقي للصهيونية . ومن هنا كان طبيعيا ان تنساق الاحزاب الشيوعية العربية الى مواقف التجابه مع المطمح الجماهيري العربي ضمن استراتيجه الاساس والعام (النضال من أجل الوحدة) وضمن الخصوصيات والتفصيلات حين وقفت الاحزاب الشيوعية في بعض الاقطار العربية ضد النضال من اجل نبذ السيطرة الاجنبية في وقت كانت فيه بعض الدول الاستعمارية حليفة للاتحاد السوفياتي .

وهكذا وضع (الموقف الستاليني للاحزاب الشيوعية العربية) . جماهير الشعب العربي في موقف مناهض للحركة الشيوعية وللماركسية ودفع هذه الجماهير لان تكون حذرة في نظرتها الى الاتحاد السوفيتي نفسه .

ان هذا الخطأ التاريخي الفادح الذي وقعت به الاحزاب الشيوعية العربية في اغفالها لقوانين الصراع التي تحكم المجتمع العربي ، ووقوفها مواقف سلبية من القضايا العربيةالمصيرية ، هما اللذان عجلا بازاحة التيار الاممي عن مواقعه في الوطن العربي، واتاحا للرجعية العربية ان تنقض بشراهة على كل ما هو تقدمي واشتراكي .

ان تجاهل أهمية النضال القومي التحرري لشعبنا العربي ، او ربطه كجزء يسير ولاحق في الصراع الاممي ، عوق النضال العربي نفسه واساء للماركسية ، لا للاحزاب الشيوعية العربية فحسب ، اكثر مما اساء اليها الاعداء . وبهذا كان محتوما على الجماهير العربية انتبحث عن قضيتها في غير هذا الاطار .

لماذا البعث ضرورة تأريخية ؟

بعد ان عرضنا بشكل مجمل وعاجل لابرز التيارات التي كونت الخارطة السياسية لعملية الصراع بين الشعب العربي ، والتحديات المفروضة عليه ، لا ندعي ان تلك الحركات لم تقدم عطاءاً زود النضال العربي ودفعه في معركته الطويلة الا ان نظرة فاحصة الى تلك الحركات تؤكد ان قاسماً مشتركاً وحد بينها جميعاً . رغم تراوحها من الموقف اليميني الى اليسار الاممي ، ذلك هو ان تلك الحركات لم تعبر عن الحاجات النضالية لشعبنا العربي ، وفق معطيات المرحلة التاريخية نفسها .

ان هذه الحركات تأرجحت بين الموقف السلبي المتزمت الذي يعتبر النضال القومي تهمة ، حدهاالادنى مروق على الدين ، والموقف القومي اليميني الذي يعتبر الاشتراكية لا تقل خطرا عن التجزئة نفسها .. وموقف اخر انطلق من حاجة الجماهير الى التخلص من الاستغلال ضمن عزل كامل عن النضال باتجاه الوحدة وبالتالي باتجاه القهر الاستعماري .

من هنا عودة اخرى الى التساؤلات التي طرحت في بداية الموضوع ، لماذا حزب البعث؟ هل كان شيئاً جديداً فعلاً في حياة العرب؟ هل ابتدع لهم اهدافاً خارج تصورهم ؟...

وهنا يتحدث المجرى النضالي العميق والطويل لهذا الحزب على ساحة الوطن العربي وعلى امتدادا اكثر من ثلاثين عاما .

ان الجماهير العربية في معاناتها للتجزئة والتخلف والسيطرة الاستعمارية والاضطهاد الطبقي والسياسي لم تكن بحاجة الى ان تتخلص من واقعها المرير لتقع في سلسلة طويلة من الطرق المسدودة وغير المجدية . واذا كانت هذه الجماهير قد قدمت كثيرا وبدون انتظار ادنى ثمن ، فانها كانت تصر على ثمن واحد هو الانتصار والتخلص من كوارثها المتلاحقة .. كانت الجماهير تريد ان تحصل على لقمة العيش ، ولكن دون ان تنسلخ عن انتسابها التاريخي والنضالي لامتها .. وكانت هذه الجماهير تناضل من اجل الوحدة ولكن لم تكن تستطيع ان تفهمها على انها مجرد ماض مشرق .

في هذه الظروف جاءت حركة البعث العربي الاشتراكي لا لترث مجمل الحركات السابقة وتتربع على مواقعها ، بل لتنطلق اولاً من تحليل موضوعي علمي للمرحلة التاريخية التي تعيشها جماهيرنا ، ولتستخلص القوانين الحقيقية التي تحكم الصراع المصيري بين الجماهير العربية في كفة ، وكل اعدائها وامراضها في الكفة الاخرى .

ومنذ البداية التبشيرية لهذه الحركة في مستهل الاربعينات ، استطاعت ان تطرح على الساحة العربية ولاول مرة ملامح جدية واصيلة لحركة كانت تستقطب يوما بعد آخر افضل الطاقات الجماهيرية ، وعبر مسيرة نضالية شاقة ومتواصلة .

فلأن المرحلة هي مرحلة نهوض شامل ولانها لا تحتمل النظرات الجزئية والمواقف غير المستوعبة تناقضات الواقع العربي ، ولانها مرحلة تحرر وتوحيد قومي ونضال وحدوي

اشتراكي ، لذلك كله كان حزب البعث استجابة تاريخية وشيئاً جديداً في حياة العرب فعلاً .

إنه للمرة الأولى ، الحزب الذي يخاطب الجماهير ويحملها مسؤولية النهوض باعبائها هي .. حزب انبثق من بين صفوفها هي وتمثل حاجاتها ، وظل يعتمد لنفسه معيارا اساسيا في كل مراحله ، ذلك هو الرجوع الى الجماهير .

وا ـل السر الحقيقي في نجاح هذا الحزب - عدا عن نظريته الايديولوجية الثورية التي ربطت ربطاً جدلياً .. بين الصراع القومي التحرري والصراع الطبقي - ، هو في وضع الجماهير نفسها ولاول مرة امام اهدافها مباشرة وعبر اساليب وتقاليد كفاحية ثورية .

ان مبررات هذا الحزب التاريخية ، هي في استطاعته ان يكتشف قوانين الصراع العربي منخلال المعطيات الواقعية لحاضر امتنا ، ويربط ربطا عضويا بين جوهر المشاكل التي تعترض نضالنا العربي وبين الاهداف التي مثلت استراتيجية الحزب عبر المرحلة التاريخية بأكملها والتي لخصت بالوحدة والحرية والاشتراكية*.

من سمات البعث العربي الاشتراكي :

في البدء ينبغي ان نؤكد ان الحركة الثورية الاصيلة تنطلق دائما من ربط كامل بين ايديولوجيتها وادوات نضالها واساليب ذلك النضال . ومن بين اول مقومات نجاح حزب البعث العربي الاشتراكي انه ربط بشكل علمي بين ايديولوجيته من جهة ، والادوات النضالية التي اعتمدها من جهة اخرى .

فلأن الحزب قومي في نظرته كان اول حزب في الوطن العربي يعتمد البنية التنظيمية القومية متجاوزا بذلك ، التجزئة التي اصطنعها الاستعمار ، وركز على اجتذاب اكثر الطاقات الجماهيرية المؤمنة بضرورة الوحدة العربية وحتميتها .. ولان الحزب اشتراكي ، اكد ان الطبقات الكادحة من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين - هي الاكثر قدرة على الانخراط في مجرى النضال الوحدوي الاشتراكي وبالتالي اعتمدها طبقات ثورية يمكن ان تشكل أساساً في بنائه التنظيمي (وان كانت المراحل الاولى لنضال الحزب قد نهض باعبائها ، المثقفون والطلبة بشكل بارز ، ونتيجة لواقع التخلف الذي ابعد العمال والفلاحين عن الانخراط في العمل السياسي) .. ولان الحزب يؤمن بالحرية اسلوبا في الحياة وهدفا انسانيا ينتهي بازالة كافة اشكال التسلط والنفوذ ، مارس هذه الحرية في اجهزته الداخلية ، لا باعتبارها حقا من حقوق المناضلين فحسب ، بل باعتبارها شرطا اساسيا وتربويا لتعميق النظرة الديمقراطية لدى المناضل نفسه ، وبالتالي لكي يقطع الطريق على اية نظرة فوقية او اقطاعية في التعامل مع الجماهير .

واذا كان الانتصار على كل التحديات التي تواجه الشعب العربي ، يقتضي ان تزج كل الطاقات الجماهيرية العربية في ميدان الصراع ، فان اعتماد الشعب المضطهد والمستغل (بجميع

الفين) كله في معركة المصير ، هو الشرط الاول لكسب هذه المعركة وهو واحد من الركائز الاساسية التي اعتمدها حزب البعث .

ولان الأوضاع التي وصلت اليها جماهيرنا العربية ، لا يمكن ان تعالج من المواقف الجزئية والاصلاحية ، فان المعالجات الجذرية والثورية وحدها هي الاسلوب الذي تحتاجه مناضلة كل القوى المعوقة لحركة التحرر العربية . من هنا كانت السمات الاساسية لحركة البعث العربي الاشتراكي والتي يمكن اجمالها في المسائل الجوهرية التالية :

أولاً : علمية هذه الحركة التي انطلقت منذ البدء من الاعتماد على المنطق العلمي في تحليل معطيات الواقع العربي واكتشاف طبيعة القوى المتصارعة على هذا الواقع ، وبالتالي تحديد الاهداف الحقيقية والتي مثلت حاجات الجماهير العربية في هذه المرحلة واسلوب الوصول الى هذه الاهداف .

ثانياً : الواقعية - انطلقت حركة البعث منذ بدايتها وهي تؤكد حقيقة اساسية وهي ان الجماهير العربية وحدها صاحبة المصلحة وذات القدرة على تحقيق مستقبلها ، ومن خلال امكاناتها اولا ، واستجاباتها لحركة التاريخ ، ثانيا .

ثالثاً : الايجابية - رغم كل ما واجه البعث العربي الاشتراكي - وهو بعد حركة يافعة - من اتهامات من قوى اليمين واليسار معا ، لم تستطع ان تحرفه عن مواقعه النضالية في اعتباره الثورة العربية ، موقفا قوميا تقدميا ، ورافداً اصيلاً في النضال الانساني . ان البعث فتح كل المنافذ على التجارب الثورية الحية ولم يقف منها موقف المتشنج المكابر ولا موقف الضعيف المتطفل .

رابعاً : النظرة التحررية - انطلق البعث دائما من ايمان مطلق بضرورة التحرر من كل القيم البالية واعلن انه حرب على الشوفينية والطائفية والعشائرية ، عدا عن ربطه الحيوي بين نضاله من اجل تحرير الوطن العربي ، والنضال التحرري من الاستعمار في كل مكان . ان هذه النظرة هي التي خلصت الحزب من الوقوع في تأثيرات مفاهيم مرحلة نشوئه ، تلك المفاهيم التي تميزت بالنظرة القومية الاستعلائية والمنطلق الانعزالي .

خامساً : النضالية - كان للعلاقة الصميمية بين الحزب والجماهير من جهة ، وايمان الحزب بانه يحمل مسؤولية تحرير الجماهير العربية من جهة اخرى ، اكبر الاثر في اجتياز هذا الحزب مكاناً واسعاً في معارك النضال العربي . ولقد شهدت مسيرته منذ مرحلة التأسيس ، معارك طويلة ومتواصلة في كثير من الاقطار العربية ، وبشكل خاص تلك التي وجدت فيها فروع الحزب بصورة مبكرة ، اتاحت له ان يوثق علاقته بالجماهير ويضعها في مواقع النضال بقيادته وخلال احلك الظروف . ان ما تعرض اليه مناضلو هذا الحزب من حملات قمعية وصلت الى حد التصفيات الجسدية المروعة على يد الانظمة الدكتاتورية والرجعية

وضعت الحزب في سياج جماهيري متين من جهة ، واعطته ميزة نضالية جعلته منفردا بها الى حد كبير وباتت خصيصة بارزة وأساسية بين خصائصه الاخرى .

سادساً : الجذرية والشمول - من بين ابرز سمات البعث العربي الاشتراكي انه اعتمد النظرة الثورية التي لم تكتف بالوقوف خارج المشاكل الحقيقة لشعبنا ، او تنحصر معالجاتها عند حدود جزئية منها . ان المنطق الثوري للحزب منذ بدايته كان قد اكد حدين لازمين لكل معالجاته الثورية : اولهما الموقف الجذري في معالجة كل ما يعوق النضال الجماهيري التحرري (النظرية الانقلابية) . وثانيهما ، الشمول الذي يضع كل جزئيات نضالنا العربي وتفصيلاته ضمن اطار كلي يشكل السياق التاريخي للحركة العربية الثورية .

ان رفض انصاف الحلول وشجب اسلوب مهادنة الاوضاع غير السليمة ، والانتفاض على كل الاساليب التقليدية التي تعوق النضال العربي وتمنع حركته التحررية ، والاصرار على تعميق النضال الشعبي وربطه في اطار واحد يتلخص في اهداف الثورة العربية ان ذلك كله حدد هوية الحزب الثورية وصانها من الضياع ، كما عين في الوقت نفسه اساليب الحزب النضالية .

سابعاً : القدرة على التميز - ثمة خصيصة اخرى تشكل سمة بارزة في حزب البعث العربي الاشتراكي تلك هي قدرته على التميز رغم ان ظروف الكفاح نفسه قد جعلته في كثير من الاحيان عرضة للضمور والضياع في خضم التيارات الاخرى .

ففي مراحل نشوء الحزب الاولى ، لم يكن الحزب القومي الوحيد ، الا انه استطاع ان يتميز عن كل الحركات القومية التي سبقته او اعقبته .. وفي نفس تلك المراحل لم يكن اول من طرح الفكر الاشتراكي ، الا انه استطاع ان يتميز عن التيار الاشتراكي العالمي وان يشق له مجرى خاصا به - بعيدا عن الانعزال - ومع قدرة على الانفتاح والاستفادة ضمن ما يرفد النضال العربي والنضال التحرري العالمي معاً .

وفي مراحل معينة - وفي الخمسينات بشكل خاص - كان ثمة مصاعب جمة في التفريق بين حزب البعث والناصرية اللذين التقيا أبان النهوض الجماهيري الوحدوي . ورغم ان النظام الناصري حمل شعارات الحزب نفسها ، ورغم انه كان يستطيع ان يعطي هذه الشعارات اشكالا مادية شاخصة من خلال مواقع السلطة ، ومع كل حملات التشويه التي استهدفت الحزب بفكره ومناضليه ، الا ان هذا الحزب استطاع ان يبق متميزا ومحافظا على ايديولوجيته وتقاليده الثورية رغم انه دفع ثمن ذلك باهظا في جملة من الانشطارات التي رافقته ابان هذه الفترة بشكل خاص .

ثامناً - القدرة على الاستيعاب والتطور - ان نشوء الحزب بحد ذاته يعبر عن قدرة فائقة على استيعابه لظروف المرحلة وتشخيصه للقوانين المحركة للنضال العربي . الا ان الحزب ظل بشكل دائم يستوعب كل المعطيات الجديدة التي تدعم نظرته الثورية وتزوده

باسلحة جديدة في معركته الطويلة . فعلى صعيد الموقف الفكري مثلا ، استطاع الحزب ان يخلص المفهوم القومي من كل ما شابه في تلك الفترة من تأثيرات الحركات القومية الاوربية ، كما استطاع الحزب عبر مسيرته - ورغم تأكيده على التميز - ، اعتماد المسلك الثوري الذي حماه من الانزلاق في المواقف الوسطية او الاصلاحية ، واذا كان قد أكد في المراحل الاولى على اهمية الموقف القومي وبشكل جعله يطلق على الاشتراكية تسمية (العربية) فانه استطاع ومنذ البدء ان يعتمد الموقف العلمي ويتخلص من مواقف الانزواء والسلبية ويحطم الاطر الجاهزة . وعلى صعيد الممارسة النضالية استطاع الحزب ان يلفظ خارج مجراه كل العناصر التي كانت انتساباتها الطبقية لا تهيؤها لتشكل الاداة الثورية الجادة والقادرة على خوض النضال الاشتراكي . كما ان الحزب الذي مارس البرلمانية والمشاركة الجزئية في الحكم (وفي القطر السوري بشكل خاص) أدرك ان قيادة الجماهير باتجاه نسف كلي لمواقع الانظمة الرجعية العربية ، هو السبيل الوحيد لتحقيق الثورة العربية . ورغم ان الحزب قد حورب كثيرا - والى حد الظلم - من حركات سياسية كثيرة ، الا انه ظل يطرح شعار زج كل القوى الوطنية والتقدمية في اطارات جبهوية على الصعيد القومي وعلى صعيد كل قطر..

ان استيعاب الحزب للمعطيات المتجددة وادراكه منذ البدء للترابط الجدلي بين حركة الثورة العربية وحركة التحرر العالمية عموما ، هما اللذان خلصاه ، من النظرة الفئوية وعقلية الغرور .

تاسعاً : القدرة على تجاوز الانتكاسات : ليس بدعا القول ان حزب البعث قد اثبت حيوية عالية وفائقة على تجاوز اخطر الكبوات . فلقد جابه هذا الحزب حملات قمعية رهيبة ضمن مجمل ما جابهت الحركات الوطنية من قبل بعض الانظمة الدكتاتورية العربية - وان كان نصيب الحزب من هذا الارهاب هو الاوفر - .. كما ان الحزب قد تعرض لنكسات بمستوى الكوارث لعل من ابرزها ردتي الثامن عشر من تشرين عام ١٩٦٣ والثالث والعشرين من شباط عام ١٩٦٦ ، اضافة الى ما تعرض له ابان تجربة الوحدة عندما حل تنظيمه في القطر السوري ومع ذلك كله استطاع ان يحافظ على صموده وفاعليته في الساحة العربية ، وان يمارس من جديد دور قيادة الجماهير من مواقع قوية أصيلة .

ان ثورة السابع عشر من تموز في العراق واصرار الحزب على مواصلة النضال رغم ما تعرض له ويتعرض من تصفيات في اكثر من جزء في وطننا العربي . يمثلان قدرة الحزب على تجاوز اخطر الانتكاسات والكبوات .

عاشرا : النظرة المستقبلية - ومن ابرز ما ميز حزب البعث باعتباره حركة قومية ، انه استطاع ان يبعد الجماهير العربية عن تأثيرات التيارات القومية العاطفية التي اتجهت الى

الماضي تتغنى بامجاده واشراقاته وتبكي حاضرنا العاثر .

ان الحزب - على تأكيده الدائم لاهمية التراث النضالي العربي في الماضي واستخلاص كل ايجابياته - ، الا انه انطلق من اصرار على تحويل الواقع الراهن الى الصورة التي تحقق انسانية العربي فردا ومجتمعا . ومن هذه النظرة ، ولان مسؤوليات النهوض باعباء هذه المعركة جسيمة وخطيرة وتقتضي نضالاً طويلاً ومستمراً ، كان اعتماد الحزب على العناصر الشابة .. على الدماء المتوثبة الجديدة .. وكانت نظرة الحزب الى ممكنات الجماهير العربية لا في صورتها الراهنة ، بل بصورتها حين تملك زمام نفسها .

كما ان الحزب الح على ان الاتجاه التاريخي (دَحرْ كل القيم المتخلفة من استعمار واستغلال وتخلف اجتماعي) ، هو المسلك الوحيد الذي ينبغي ان يتخذ فيه مجرى نضاليا يزيد من فعاليته ويختصر كثيرا من مراحله .

ان حصر سمات البعث العربي الاشتراكي في بحث ضيق ، امر غير ممكن وغير جائز في آن واحد .. وعدا عن ابرز السمات فإن حزب البعث كان مدرسة تربوية نضالية تخرج فيها كثير من المناضلين الاشداء كما غيرت هذه المدرسة ، كل القيم النضالية التقليدية السابقة .. ان مولد البعث كان ايذانا بتغيير كلي وشامل في الحياة العربية وكان انهاءاً لسلطان الزعامات والنضال من وراء المكاتب والهبات الحماسية الموسمية .

ان البعث كان الحركة القومية التقدمية الاولى في وطننا العربي .. الحركة التي انهت الطلاق المفتعل بين ان تأكل الجماهير وان ترفع راية النضال القومية .. ان البعث هو الذي انزل شعار الوحدة من سماء الاحلام والتخيلات وطرحه للجماهير تمارسه في نضالها اليومي الدائم وهي تحارب الاستغلال والتعسف والاستعباد بكل اشكاله .

ان الحزب هو الذي جعل الوحدة والحرية والاشتراكية ، اهدافا في كل راية نضالية في الساحة العربية - وفي مشرقها بشكل خاص - وبغض النظر عن جدية ونوايا حاملي هذه الراية .

ان الحزب هو الذي وضع النضال الجماهيري اسلوبا وحيدا لتحقيق الثورة العربية وهو الذي سما بالعلاقة بين الموقف القومي والاممي من التشنج والانعزال او التجاهل والالحاق الى الرفد والتواصل .

وبعد ان عبر حزب البعث عن حقيقته الثورية ضمن مسيرة تأريخية عمرها الرسمي اكثر من خمسة وعشرين عاما .. ظل في كل يوم ينطلق من المبرر التأريخي الاول في قيامه وقيام اية حركة اصيلة ذلك هو استلهام حاجات الجماهير واستكشاف افضل الوسائل لحشد اكبر قدر من طاقاتها في معركتها المصيرية .. وعلى امتداد هذه الحركة الخطيرة تتأكد يوما بعد آخر

صفات العرب الاصيلة فكرا وتقاليد ثورية وفي سياق يضع مسألة الصراع مع الاستعمار وركائز الاستغلال والرجعية ، مهمة انسانية وحضارية ينهض بعبئها الاول الجماهير العربية الكادحة ويسهم فيها كل نضال تحرري انساني وضمن حركة التحرر التأريخية التي تنهض في مواقع متعددة على خارطة عالمنا الحديث .

